**المحاضرة 8 :الحداثة الشعرية 2**

1)الحداثة في الغرب:

ارتبط مفهوم الحداثة عند الغرب بالتطور الحاصل في المجتمع على كافة المستويات الاجتماعية و الفكرية و الاقتصادية و السياسية و غيرها ،و خاصة عقب الثورة الفرنسية التي قلبت موازين المجتمع الأوروبي و أثّرت في أنظمته الحضارية الواسعة ،كما تأثرت الحداثة الغربية بالتحولات العميقة التي أحدثتها الحربين العالميتين و قيام الثورة البلشفية في روسيا ،فضلا عن المكتشفات العلمية الحديثة

أمّا الحداثة الشعرية عند الغرب ،فقد مهدت لها جهود و مدارس و حركات أدبية عديدة،و أهمها المدرسة الرومانسية و المدرسة الرمزية في فرنسا حوالي عام 1860مع الشاعر بودلير الذي يعد أول من استخدم مصطلح الحداثة (Modernité)،و ارتبطت الحداثة عنده بالفن و بكل ما هو أبدي ،ثورة و تمردا على نظرية المحاكاة التي جاء بها أرسطو ،حيث يرى بودلير أن الفن حيلة و صنعة .

سعى رواد الرمزية الغربية إلى بلورة الحداثة الشعرية و توضيح معالمها في الشعر و الأدب ،و كانت اللغة الشعرية سبيلهم في ذلك حيث رأوا أنها بوضعها الحالي عاجزة عن الوصول ،لما أصابها من وهن إلى مصاف الحقيقة ،فحاولوا تغييرها بوسائل مختلفة ،أهمها تجديد بنية اللغة،و ذلك ببناء منطق شعري جديد يقوم على الجمع بين الصور و الأفكار و العلاقات بطرق غريبة و معقدة ،و من هؤلاء الرمزيين نذكر بودلير Baudelaire(1821-1867)،و رامبو Rimbaud (1854-1891)،و مالارميه Mallarmè(1896-1966).هؤلاء الشعراء سعوا إلى تجديد قوالب الشعر من خلال الاهتمام باللغة و تحطيم رتابة الأسلوب ،و النفوذ إلى أعماق الذات البشرية لسبر أغوارها ،و البحث في فلسفة الرموز و مفاهيمها.

من بين شعراء الغرب الذين تركوا أثرا واضحا في مجال حداثة الشعر و تحديثه الشاعر ت.س.إليوت T.S.Eliot(1888-1965)،الذي ولد في أمريكا و عاش في بريطانيا ،و قد ترك أثرا واضحا على الشعراء العرب ،الذين عكفوا على ترجمة أشعاره و آرائه في الفن و الإبداع ،

اهتم إليوت بالتراث و انطلق منه لصنع حداثته ،و كان أول ما تجاوزه إليوت في نظم الشعر مسألة الشكل ،حيث انتهج أسلوبا إيقاعيا يكاد يكون مفككا لولا تماسك الفكرة و وحدة الموضوع ،كما تجلت النزعة الذهنية التجريدية في قصائده ،يعبر بها عن شيوع المدنية و طغيان الآلية على المشاعر و العواطف ،و كذا انحلال الحضارة و انصهار مقوّماتها في المادية الطاغية ،و للتعبير عن هذا العالم الخراب و عن الخواء الروحي لإنسان العصر ،وظّف إليوت رموزا فنية كثيرة أبرزها الأسطورة ،لما تحمله من طاقات جمالية و دلالية عميقة ،و إيحاءات لا متناهية ،و من أبرز قصائده التي عني الشعراء العرب بترجمتها و النسج على منوالها ،قصيدته "**الأرض الخراب**(**Waste land** )،"هذه القصيدة التي كان لها الأثر البالغ في الشعر العربي ،سواء في استخدام أسلوب التكرار ،أو في غيره من التقنيات الفنية للقصيدة ،كالتضمين و استعمال الأسطورة ،و البناء الدرامي و الإيقاعي ،و إن تباينت قدرات الشعراء بين التقليد و القدرة على النفاذ إلى صلب التقنية المبتدعة من قبل إليوت " .[[1]](#footnote-2)

يقول إليوت في أحد مقاطعها و التي تظهر فيها تقنية التكرار بشكل لافت :

**هنا ...حيث الصخور بلا ماء**

**الصخر دون الماء و الدرب الرملي**

**الدرب الملتوي في صعوده للجبل**

**جبال الصخر بدون ماء**

**لو وجد الماء لتوقفنا ...و نهلنا**

**بين الصخور لا أحد يستطيع التوقف أو التفكير**

**العرق جاف ،و الأقدام تغوص في الرمال**

**لو كان الماء بين الصخور**

**فم الجبل الميت بأسنانه النخرة التي لا يمكنها البصق**

**هنا ...حيث لا يستطيع أحد أن يقف أو يسترخي أو يجلس**

**فقد فارق الصمت الجبال .**

**لو كان هناك الماء**

**بلا صخر**

**لو كان هناك الصخر**

**ومعه الماء**

**و الماء**

**و النبع .**

إلى آخر القصيدة الملأى بالتكرار (الماء،الصخر،خرير الماء...)، وذلك ليؤكد باستخدام التكرار على الجفاف الذي أصاب روح سكان الأرض الخراب ،و الشيخوخة التي تمكنت من أنفسهم ،فدب الخور و العجز في أعماقهم .

و لم يقتصر تأثير إليوت على الشعراء العرب مثل السياب و صلاح عبد الصبور و أمل دنقل و عبد المعطي حجازي و غيرهم بقصيدة الأرض الخراب فحسب ،بل نهلوا أيضا من قصائده الأخرى و من أهمها قصيدتي الرجال الجوف ،و قصيدة أغنية الفريد بروفروك .

هذا التأثير الذي ظهر في نواحي عديدة من شعرهم أهمها التكرار و التناص و غيرها .

و أبسط تكرار هو تكرار كلمة واحدة خلال القصيدة أو جزء منها ،مثل قول أمل دنقل في قصيدته ضد من :

**في غرف العمليات**

**كان نقاب الأطباء أبيض**

**لون المعاطف أبيض**

**تاج الحكيمات أبيض،أردية الراهبات**

**الملاءات**

**لون الأسرة ،أربطة الشاش القطن .**

هذا اللون الأبيض الذي يحاصر الشاعر و هو على فراش المرض في ارتباطه بلون الكفن يقدم شحنة انفعالية عالية في مواجهة اللون الأبيض مستخدما تكرار كلمة أبيض من خلال تجليات اللون في حالاته المتعددة التي تحاصر الشاعر و تجعله يعبر من خلال هذا التكرار عن حالته النفسية و الانفعالية تعبيرا دقيقا.

1. -رمضان الصباغ ،في نقد الشعر العربي المعاصر ،دراسة جمالية ،ص216. [↑](#footnote-ref-2)